سياحة المخيلة في (دروس الشموع ذات الاشتعال المتأخر)

قراءة :شاكر مجيد سيفو

للأب الشاعر د. يوسف سعيد اعمال شعرية صدرت في اوقات متباعدة، فقد أصدر (الموت واللغة ١٩٦٨ بيروت) (ويأتي صاحب الزمان، قصيدة ١٩٨٦، أسوج) و(طبعة ثانية للتاريخ) ضمن منشورات الشباب ١٩٨٧ بيروت). ومجموعته (الشموع ذات الاشتعال المتأخر عام ١٩٨٢ . بيروت)، التي سندخل في اعماقها لقراءتها.

يتحرك الشاعر في أولى مراحل بناء نصه الشعري عبر جهاز لغوي مغاير تماماً للمالوف يميزه عن المنجز الشعري . الذاكراتي . برمزيته ومعرفيته، وشعريته التي تتجزأ في سماتها وتتوزع في مستويات دلالية متعددة تبث موجاتها الاشعاعية في عدة اتجاهات، فالنص الشعري عند الأب يوسف يتوفر على قدر من التنوع والتداخل والتنافر والقض وفي طبقاته السيمولوجية، وهذا الخلق الفني يؤسس له بنى تراكمية تتداخل فيها الاشكال والهياكل الجمالية، وتتسع لتشع من الداخل عبر رؤية شعرية يسجل فيها الشاعر لا بل يستنطق فيها حركة الاشياء والموجودات وذلك بادخالها في مختبره الحسي . والمرئي في سلسلة افكار حلمية وانفعالية تراكمية.

ان البؤرة المركزية التي تنطلق منها اشعاعات النص تقوم على الجدلية الثنائية بين موضوعتي -الزمن والوعي- هاتان الوحدتان اللتان تشكلان جسد النص ووجوديته يثيرهما الشاعر في لغته القريبة من (الاستنباطية) على حد تعبير الشاعر –اوكتافيو باث- وهو يشير بذلك على قدر عال من غرائبية الصورة وسحريتها ويتجسد هذا المنظور الفكري والصوري في قصيدته (الذكاء امام المزارع الابدية ص٢١) حيث يقول:

(نسل معاد فوق ارصفة اهملتها، وغزتها، عفونة الظل الثقيل يتحركون ببطء، كبجعة مريضة/ كأزمنة تجرجر ذاتها مع رحىً من صخور الغرانيت/ نسل ينزلق نحو غابات متوحشة/ نحو اهراء معبأة بالقصدير والملح والخرق البالية/ نسل في إغفاءة الموت المحتم... هناك رغبة فردوسية للجميع ولكن، حقوي النسل معصوبة بحبال القنب القحط فقط/ يهرعون بلهفة نحو سلم الابادة/ نسل معاد/ داخل غرف العبيد/ الضحكة معدومة الا من ضحكة هستيرية/ كمدمن، لا يعرف كيف تتسلق الشمس صدر السماء.

إنّ الشاعر هنا يستعير مقترباً حسياً قريباً من صورة الارض اليباب، فصوره تقوم على المزاوجة بين الذهني والتصويري، بين الشكلانية العالية المتلئة على ابستمولوجية متقدمة، تصطرع في مخيلة الشاعر وتكاد لغته الاشارية ان تتشكل من مجموعة من الالفاظ تؤدي الى تصريف افكارها عبر نسق رؤيوي تجريدي يقوده الغموض الى مساحات جمالية دينامية بفعل الوعي الشعري وتحرير الذاكرة من عوالقها.

ان جوهر الشعر عند الاب الشاعر يوسف سعيد يقوم على اساس ثنائية الخلق والعدم هذه الثنائية التي تستثني عنها لغته بما فيها انشغالات الشاعر بما يشبه كيميائية الظاهرة الكونية، وتقاطعه مع الثابت والخفوت في الاشياء، انه يتصل بالآخرين عن طريق الشعور، وهو يؤكد على اللحظة الشعورية ويسعى الى القبض على ابديتها، تلك اللحظة وحدسها المتقد في المنظور الباشلاري... والوصول الى الحلم العميق، [ذلك الحلم الذي دفع الشعراء وهم ندرة الى ان ينتهوا الى الصمت، او الى كتابة الصمت]، ان الاب الشاعر يوسف سعيد لا يعنيه الافصاح او التلميح هذا الذي يوفر امكانيات البوح للخطاب الشعري في حالة غياب التكثيف، لأنّ القفز ما وراء اللغة هو الذي يجعل النص بعيداً عن البوح وترسيخاً للتكثيف والعمق والسرية والحركة القصوى، داخل ميراث الجنون.

وفي المشهد الشعري الذي نحن فيه (الشموع ذات الاشتعال المتأخر) يحلق الاب الشاعر يوسف سعيد في فضاء تصوفي ولاهوتي زاخر بالمعرفي والفلسفي، فهنا (يصب) الشاعر مخلوقاته في بانوراما سحرية وذلك باستنطاقه لروح الامكنة التاريخية والتراثية الحضارية من وادي الرافدين ويمتد هذا التشكيل البانورامي ليتسع ويحضن الكثير من المقتربات الميثولوجية في مشهد شعري يتقد فيه الخيال وينعطف بالرؤية الشعرية الى عدة مسارات لاهبة لاجتراح الاشكال الحياتية القائمة في الطبيعة وظاهراتيتها، لنقرأ معاً هذه المقاطع من قصيدة [الموصل] . مدينة الحدباء . ونينوى . مدينة آشور القديمة، هنا تبرز اشتغالات الشاعر بالمكان وطرح خزينة الذاكروي في مشاهد لامعة معنىً ولغة...

[الموصل أخصاب مبارك/ طائرات ورقية ملونة/ جدرانها تتنفس رحيق الطحالب/ الموصل تقاطع البازلت على فخذها الايمن خطوط سوداء شفافة/ من تقاسيم الغرانيت/ الموصل رشاقة الحندقوق/ الموصل تعبّيءُ في اقفاصها اجنحة الفرشات/ الموصل تجهض احلامها الهجينية/ الموصل رغبة معلقة فوق جسر العصور/ الموصل تباريح الرعشة في كبد الاطفال/ "قضيب البان" اشراقات مترجرجة كذرة صفراء، كحدقة الاوقيانوس/ دروبها اشبه بضلوع الزمهرير/ أقراطها، سبحة من لهات الاسماء والتواريخ/.. الموصل، النظرة اللامتناهية لمسيرة الافلاك.. الموصل تغتسل جسدها برغوة الربيع/.. الموصل تتعشى في المساءات الحالمة/ ثم تترع من قنينة الخمور العتيقة/ الموصل تشرب ماء من قرنفلة الاوقات، وإذا انتشى رعاتها بدسم الربيع، قطفوا رحيق التأمل من نسغ الكلمة، هناك تبدأ حفلة التصوف هذيانات../ الموصل نزوع نحو ابدية الفراغ...

هكذا إذا يسيح الشاعر في لغته الصورية مستنطقاً فيها نسقها الرؤيوي ومنتجاً عبر ديناميتها التشكيلية مشاهد مثيرة، ان التكرار الذي بنى الشاعر صوره تلك جعله يصب في بوتقة واحدة تشع منها رؤاه الخلاقة لاثارة اسئلته الفلسفية ومعرفية قاموسه الفني، ان هذه العلائق التي تتشكل في وعي الشاعر تنحرف احياناً بشكل لا منتظم وتقترح اشكالها في ثيمات فوضوية وقريبة جداً من الهذيان، ان هذيان الشاعر داخل مختبره الروحي قد جنبهُ الوقوع في التقرير والكشف وجعله يؤثث ثيمات نصوصه قارة شعرية تتعدد قراءاتها واحتمالاتها، فالصورة الشعرية الافقية تتقاذف مع رؤياه الكونية لاستحضار وتوظيف بعض الرموز الخرافية والسحرية والميثولوجية وتوفر بعداً تشيؤياً معرفياً وصولاً الى بناء عالم وجودي تصوفي جمالي محطما فيه الذات ويظهر هذا في رؤاه المجسدة في التقاط هذه الصورة العنقودية.

... ... [ويعود الصيف ثانية/ حاملاً الى عشيرة من بدو الجزيرة/ تفاحة عليها رسوم لاهداب تنم عن الفال والخطوط السعيدة / ذئب اغبر، قادم من برية فاران وعلى جبينه رسم لقميص يوسف/ واسطورة عن امرأة من بغداد/ كفّاها تمطران في شتاء المرجان مرثية للثكلى/ الآكلة من انين البحر قرباناً.]... ... [وجهي تنزلق منه المعاني الكثيرة... وبحر مسافات اليسر تستحم في غيمة/ طفلة رأت عقرباً أعمى يحمل ضغينة الشتاء لى رجل أسود..] (من نصه المطر ينسج قميصاً لصيف مدينتي ص٣١) وينهل الشاعر الأب د. يوسف سعيد من ينبوعه الديني وحقله الالطقسي الكئسي صورية الهيكلية التي تبقى نخيرة حية له يخاطب به الشعراء في نصه [ايها الشعراء ص ٤٦].

[الحق الحق اقول لكم ان العالم يبغضكم ويكرهكم ويقول عليكم كل كلمة شريرة/ ايها الشعراء/ ان العالم صنع لكم صليباً واكليلاً واعدّ مطرقة وحفنة مسامير غليظة/ وفتح لكم جلجلة وخندقاً يستوعب اجسادكم) ان دعوة الشاعر التطهيرية هذه هي من اجل التضحية في سبيل الكلمة التي هي الله [وهي البدء في الرؤية الانجيلية . يوحنا] وهي قوة المعرفة والسحر والعجائبية التي تجسد معنى الروح والقداسة في الزمان والمكان. هذه الدعوة [الكارثاسيسية] التي هي دعوة ارسطو لاستنطاق حياة اللوغوس ومعناه تغمر نص الشاعر يوسف وتعطيه مفاتيح العودة الى الوراء قليلاً..

ويستمر ليقول [ايها الشعراء، فمن خاف وهو على الصليب حرم ابناء الحياة قراءة القصائد/ ومن تقبّل الصلب بشجاعة الكلمة ومن اجل شرف القصيدة/ تليت اشعاره من على منابر هذا العالم..] ان هذه الدعوة المجسّدة في هذا الخطاب اكسبت النص شعريته وحرارته في توقد معانيه وحضوره، قوة جدليته في شيء من الفهم الطوباوي ورؤيته القدوسية.. هذه الرؤية التي تجسد معاناة وعذابات الشاعر للوصول الى العالمين والى البشرية، هذه الرؤية التي يكافح بها الشاعر غربته وعذاباتها [بأنه القائل: [العراق في بؤبؤي اقحوانة واسلحة الهجرة فصلتني عن اصدقائي] فالنص هنا يكتسب نوعاً من الروحانية التي يتصف بها الشاعر، تلك الصفة التي تسكره الى حد الانتشاء تحت نخلة عراقية تعطيه شفرة الحضور والتألق.. ان الشاعر يترك لنا حرية الخوض في عالم ممتليء باكداس من الرؤى والعوالم الخلاقة والمتشابكة فهو سريالي وصوفي ووجودي واحياناً عبثي يبتعد عن مناطق التسجيل الهلامي والحكائي . السردي والوصفي رغم تصويريته ومشهدية صوره المركبة، ان قدراً عالياً من الدلالات المتناوبة تدخل في بنية صيغ نصوصه في التقاطاته الحسية والذهنية.. يقول في نصه [صلاح فائق ص٣٩].

[صلاح فائق اجنة متحركة في رحم العقل/ تقلقه مساءات لندن الكئيبة/ لان الاجنة تركت اصداءها في اجراس قصيدته/ وفي الحلزونيات المرقطة/ يريد ان يحرك حلمه/ ان يقطف حناء نافرة من صخور بلاده/ يدخل مع شهيق البحر الى برزخ الليل/ هناك يتأقلم مع المحارة/ وينسج داخل الصدقات/ رعشة لجسد كركوك...].

تلك هي رؤية الشاعر المركبة التي تصنع مناخاته في اشكال تراكمية ووعي انثيالي ونسيج بنيوي بمعانقة لغته الدراماتيكية التي لا تضمر لاشيائه سوى الامكنة الصالحة للشعر.. الشعر الحقيقي...

حرف علّة

■ عواد ناصر

فنتورا ينظف قاذورات الحكومة

فالديمار فنتورا هو فراش في مكتب رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون، في المكتب الشهير، عالمياً ومحلياً: ١٠ داونينغ ستريت.

عندما أبلغ فالديمار فنتورا بأنه سيعمل في هذا المكان الفاخر، والحساس، داعبته مشاعر لذيذة بأنه سيكون مقرباً من الحكومة، وربما سيحصل على الكثير من المكافآت والإكراميات السخية، لأنه سيكون على مقربة من أعلى قيادة في الدولة، بيدها الحل والعقد، بل سيشاهد بأم عينيهِ رئيس الوزراء وهو يتمخط أو يذهب إلى التواليت، لكن شيئاً من هذا لم يحدث عدا أنه شاهد السيد ديفيد كاميرون، رئيس مجلس الوزراء، يوماً ما، في حديقة المقر الحكومي.

فنتورا (٤٤ عاماً) أب لطفلين (إينيو ٢٢ عاماً وإنغالدي ١٠ أعوام) يعاني من ضائقة ماليةٍ شديدة، فأجره لا يتعدى ستة جنيهات وتسعة وخمسن بنساً، في الساعة، وهو يعمل ستة أيام في الأسبوع، لكن مواظبته على العمل لم تحسن من وضع أسرته، فاضطر إلى استدانة قرض مصرفي، بفائدة عالية.

بولا، زوجة فنتورا، هي الأخرى تعمل منظفة في مكتب رئيس الوزراء، سبق لها أن طالبت بزيادة أجورها. سلمت أحد وزراء حزب المحافظين، فرنسيس مود، رسالة تعلمه فيها بتدني أجور عمال النظافة.

إنفيلدي، الابن الأصغر، لم يتمكن من مرافقة أصدقائه وزملائه للتمتع برحلات مدرسية إلى حديقة الحيوان، مثلاً، أو أية أماكن ترفيهية أخرى، لأن أبيه لا يملك ثمن تكاليف هذه الرحلات.

إنفيلدي: أبي! أنت تعمل بِجد وتكد كثيراً، ربما أكثر من رئيس الوزراء، فلماذا لا تملك مالاً، وأنا لا أستطيع الذهاب مع أصدقائي إلى حديقة الحيوان؟

فنتورا مواطن أنغولي، كان جندياً، سابقاً، جاء إلى بريطانيا منذ عقد من الزمن حالماً ببناء حياة أفضل لأسرته. لغته الإنكليزية سيئة لأنه لا يجد الوقت الكافي كي ينتظم في مدرسة أو كورس لتعلم اللغة: يمكنني أن أقول، ببساطة، إنني لا أجد الوقت الكافي للدراسة لأنني أعمل، لكن يستحيل عليّ أن أقول: لا يمكنني العمل لأنني أدرس اللغة!

إنهم يعرفون، يا سيد فنتورا، أن ما تنظفه من قاذورات الحكومة لا يمثل شيئاً من قاذوراتها الحقيقية التي هي أقذر وأكبر بكثير مما تجده، أنت، على الطاولات والمكاتب والمراحيض.

يضع فانتورا رأسه على المخدة بعد يوم عمل شاق نظف فيه ما يمكن تنظيفه من قاذورات الحكومة ويفكر: السيد كاميرون، وكذلك السيد كريج، يبدوان على ألطف ما يكون عليه المرء وهما يظهران على شاشات التلفاز، وفي المؤتمرات الصحفية، بل حتى عندما يتنزهان مع عوائلهما ويلعبان مع أطفالهما، ثم هما ملتزمان بالقانون. ألم يشاهد الناس المستر كاميرون وهو يقف بالدور، عشر دقائق كاملة، منتظراً ليحصل على فنجان قهوة في أحد المقاهي؟

ثم يفكر، مجدداً: لكنهما على غاية السوء عندما يتعلق الأمر بالمال!

يعبث فنتورا بأنفه وهو في سريره فينهض ليغسل يديه: إنني أشم قاذورات الحكومة على أصابعي.

تدخل بولا، زوجته، وتتمتم كأنها تحدث نفسها: كأنك لم تسمع بأزمة اليورو، ولم تأبه بالانهيار الوشيك للاتحاد الأوربي، ولا تقلقك أزمة اليونان، وما زلت تسرف كثيراً في استعمال مواد التنظيف.. هل قترت، يا رجل، كي نوفر بعض البنسات للدولة؟

بولا، أنت تمزحين؟

لا، أنا جادة فوق العادة، يا فنتورا!

تندس بولا إلى جانبه في السرير، لكنه يدير ظهره للمرأة القلقة على مصير الاتحاد الأوربي.

يحاول فنتورا النوم لأن عليه أن ينهض باكراً ليواصل تنظيف قاذورات الحكومة، وإن بأجر زهيد.

متابعة

"لست وحدك " فودكا بالليمون" في السليمانية

السليمانية/ المدى

افتتح في قاعة متحف السليمانية المعرض الفني السابع للتشكيلية شيلان جبار التي عرضت فيه آخر أعمالها الفنية بعنوان (لست وحدك) بحضور عدد كبير من الفنانين والمثقفين، وتم افتتاحه من قبل اثنين من الأطفال المصابين بمرض السرطان يتلقون العلاج في مستشفى هيوا بمدينة السليمانية ضم المعرض ٢٠ لوحة بأحجام متنوعة، نفذت بمادتين متنوعتين (الحبر واللون) ومضامين اللوحات خاصة بأطفال مرضى بالسرطان، وعبرت اللوحات عن الإحساس بمعاناة الأطفال المصابين بمرض السرطان.

والفنانة شيلان جبار ولدت عام ١٩٧٦ بمدينة السليمانية، وأنهت تحصيلها الأكاديمي في معهد الفنون الجميلة بمدينة السليمانية عام ١٩٩٦، وافتتحت حتى الآن سبعة معارض شخصية في كردستان وأوروبا وكندا، إلى جانب مشاركتها في ٢٠ معرضاً مشتركا.

فيما شهدت القاعة الثقافية في مدينة السليمانية، وبضيافة مديرية الفن السينمائي في السليمانية، عرض عدد من أفلام الفنان الكردي هونر سليم بينها (فودكا الليمون) الحائز على جائزة (كان) للأفلام السينمائية إضافة الى جوائز أخرى، و(الكيلومتر صفر)، وأفلام بارزة نالت جوائز في عدد من المحافل الدولية". وبعد عرض الأفلام تم فتح باب النقاش والحوار من قبل الفنانين وصانعي الأفلام الكرد بشأن الواقع السينمائي في كردستان وطريقة إنتاج الأفلام.

يقول الفنان هونر سليم، عن عرض أفلامه بمدينة السليمانية "من دواعي اعتزازي أن يتم عرض أفلامي في السليمانية على مدى يومين، وعلى الرغم من عرض أفلامي في هذه المدينة سابقاً ولكن هذه المرة الأمر مختلف وقد أسعدتني المبادرة جداً، لأن العرض رافقه فتح باب المناقشة عن تقنية وأسلوب صناعة الأفلام، والعناصر المهمة في الفيلم".

ولد الفنان هونر سليم عام ١٩٦٤ في عقرة، هاجر إلى ايطاليا في عمر ١٨ عاماً، ثم إلى فرنسا، وعمل في صناعة الأفلام، لديه خمسة أفلام أبرزها: (فودكا الليمون، والكيلومتر صفر، ومهربو الأمل، وإذا مت قتلتك) وقد حازت أفلامه جوائز عدة في مهرجانات دولية، منها (كان، وفينيسيا، وهندريس، وبرلين)، واصدر سليم كتاباً تضمن ذكريات طفولته بعنوان (رشاشة أبي) تم طبعه في كردستان وترجم إلى نحو ٢٠ لغة بينها الفرنسية، والايطالية، والألمانية، والانكليزية، والاسبانية.

تحولات بوريس أكونين المتواصلة

ترجمة / عادل العامل

يمكن القول إن افتتان الطفولة بمحاولة انقلاب في اليابان قد وضعت الكاتب الروسي غريغوري شكارتيشفيلي، المعروف باسم بوريس أكونين، على طريق مهني استثنائي، كما جاء في مقال كونستانتين ميلشين عن الكاتب.

ففي عام ١٩٧٠، كلّف معلم جغرافيا في موسكو تلاميذه بمهمة: أن عليهم جمع قصاصات صحفية بشأن بلدان معينة. وقد اختار بعض التلاميذ تونس، والإكوادور، واليابان.

وكانت الصحف السوفييتية آنذاك تكتب بانتظام عن البلدين الأولين، في الغالب حول النضال البطولي للطبقة العاملة ضد الاستغلال الرأسمالي، لكنها لم تكن تكتب فعلياً أي شيء عن اليابان. غير أن تلميذاً قرأ ذات يوم أن كاتباً يابانياً حاول القيام بانقلاب هناك، وهو ما أشعل اهتمام غريغوري شكارتيشفيلي وساعد في تشكيل رحلته.

ومنذ ذلك الحين، مر شكارتيشفيلي بعدد من حالات الانمساخ. فدرس لغات في جامعة موسكو في معهد البلدان الآسيوية والأفريقية وعمل مترجماً من اليابانية والانكليزية. وكانت أشهر ترجماته نتاج يوكيو ميشيما، الذي كان لانقلابه الفاشل تأثيره عليه. ففي الثمانينيات والتسعينيات، شهدت روسيا موجة من الاهتمام باليابان، بفضل شكارتيشفيلي وخبراء آخرين في الدراسات اليابانية.

وعلى كل حال، فإن شكارتيشفيلي أدرك لاحقاً أنه لم يكن يرغب في مواصلة العمل مترجماً.

"كنت أريد أن أجد مهنة أفضل تطابقاً مع نفسي"، كما قال لمجلة ريبورتر رَسكي. وفي عام ١٩٩٨، أصبح المترجم كاتباً قصصياً شعبياً على نحو مدهش. وبدأ يكتب روايات تاريخية بأسم أدبي هو ب. أكونين. وسمّاه القراء في ما بعد "بوريس". وهو يعزو نجاحه إلى صيغة ظهرت في كل نتاجه الأدبي. فهناك بطل روائي كارزمي، وسرد متسلسل، ولعبة أدبية مع القارئ.

والبطل القصصي لدى شكارتيشفيلي هو أيرَست بيتروفيتش فاندورين، وهو شرلوك هولمز روسي ذو جذور ألمانية، ومفكر، ورياضي يتّسم بالنبل والنزاهة بغير حدود. وقد كتب شكارتيشفيلي ١٤ كتاباً حول فاندورين، الذي تتطور شخصيته على امتداد السلسلة: فهي مليئة بالتلميحات واللعب الأدبية أما الخبرة بشكل عام فمتعددة الطبقات.

من ناحية، يمكن للقراء ببساطة أن يتمتعوا بالمغامرة غير أن بعضهم سيحاول أن يتعرف على الروايات الروسية الكلاسيكية التي استعار الكاتب منها حلقات خاصة.

وكما انتقل المؤلف سابقاً من الترجمة، فهو يريد الآن الانتقال من كتابة الرواية. وهو منذ العام الماضي يدوّن في موقعه LiveJournal blog ويركز على مواضيع تاريخية. وها هو الآن بعد هذا كله، وضمن التغيرات الأخيرة في روسيا، شخصية سياسية عامة بين عشية وضحاها!

عن / Rossiyskaya Gazeta